شَرْق وشَرْقيّ
الجهات الأربع واستعمالاتها في العربية

د. ممدوح خسارة(*)

مقدمة:

طالما تساءل كتَّاب ومُصَحِّحون لغويون عن الأصوب في استعمال الكلمات الدالة على جهات الأرض الأربع (شَرْق وغَرْب وشِمال وجَنُوب)، وذلك عندما تضاف كأن يقال (شرقيّ المدينة) منسوبة، أم (شَرْقَ المدينة) مجردة من النسبة.

وقد استعملنا عبارة (جهات الأرض الأربع) تميزاً لها من (الجهات الست) المتداولة في كتب النحو وهي (أمام «ومثلها قدام»، ووراء «ومثلها خَلْف»، (يمين، ويسار) (ومثلها شِمال) وفَوْق وتحت)(١).

جاء في القاموس المحيط: «الشَّرْق: الشَّمْس، وحيث تُشْرق، والضوء والمَشْرق»، «والغرب: المَغْرِب» «والشِّمال ضدُّ اليمين» «والجَنُوب: رِيحٌ تُخالف الشِّمال»(٢)، وجاء في غيره: «الجَنوب: الجهة المقابلة للشِّمال. والشِّمال مقابل اليمين»(٣).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) الأستراباذي شرح الكافية في النحو: ١٨٤، وعباس حسن – النحو الوافي ٢: ٢٥٧.

(٢) الفيروزآبادي – القاموس المحيط: شرق، غرب، شمل، جنب.

(٣) مجمع القاهرة – المعجم الوسيط: جنب، شمل.

ويلحظ أن الشرق عُرِّف بجهة طُلوع الشمس، والغربَ بجهة غروبها، أما الشِّمال فقد عُرِّف بضدِّه وهو اليمين، وأما الجَنوب فلم يُعَرِّفه بجهة، بل باسم ذات هي الريح. وإذا كان تعريف الشرق والغرب محدَّداً واضحاً لارتباطهما بحركة الشَّمس، فإن الشِّمال والجَنوب ليسا كذلك.

ونحن عندما نتكلم على هذه الجهات الأربع، فإنما نعني بها دلالاتها الجغرافية العلمية المتعالمة.

وهذه الكلمات أسماء في الأصل، ولكنها قد تستعمل كذلك فتعامل معاملة الأسماء، كأن يبتدأ بها أو تُجَر، كقولنا (الشَّرقُ بعيدٌ) أو (تعَلَّم في الغرب)، كما قد تستعمل ظروفاً للمكان، إما مجرَّدة من الإضافة كقولهم اتَّجه شِمالاً، أو مضافة كقولهم (دمشق جنوبيَّ سورية أو جَنوبَ سورية).

وهذه الظروف هي ما يسمِّيه النحاة (الظروف المتصرِّفة المبهمة)، متصرفة لأنها ترد ظرفاً وغير ظرف كما مَثَّلْنا، ومُبْهَمة لأنها لا تختص بمكان معيَّن ولعدم لزومها بقعة محدَّدة، ذلك أن دلالتها اعتبارية أي باعتبار الكائن في المكان، فقد يكون شمالنا جنوباً لغيرنا، وشرقنا غرباً لسوانا وظروف المكان كلها مبهمة(٤).

ليس ثمة خلاف في استعمال الجهات الأربع مجرَّدة من الإضافة أو مُحَلَّاة بأل، كقولهم: تقع الشام في الشِّمال من جزيرة العرب، أو تقع شِمالاً. ولكن الخلاف يقع في استعمالها مضافة كأن يقال: الشام شَماليَّ جزيرة العرب منسوبة إلى الشمال، أو شمالَ جزيرة العرب مجردة من النسبة.

(٤) ينظر: الأنباري أبو البركات – أسرار العربية – ١٧٩. والأستراباذي – شرح الكافية في النحو: ١٨٤.

أولاً: أقوال المحدثين في المسألة:

اختلف المحدثون في استعمال الجهات الأربع المضافة منسوبة أو مجرَّدة من النِّسبة، دون الوصول إلى رأي قاطع فيها.

أ- ففي مجمع القاهرة تقدم الشيخ عطية الصوالحي عضو المجمع ببحث حول قولهم (شرق كذا وشرقيَّ كذا)، خلص فيه إلى أنه لا فرق بين العبارتين في الدلالة، فيصح أن يقال: البحر المتوسط شماليَّ مصر والسودان جنوبيَّه، كما يقال دِمياط شمالَ مصر والسودان جنوبَه، ويقال أيضاً الفُسْطاط شرقيّ النيل، والأهرام غربيَّه»(٥).

كما قدَّم الأستاذ شوقي أمين خبير المجمع بحثاً بعنوان (أسماء الجهات ودلالتها منسوبة وغير منسوبة)، خلص فيه إلى أنه لم يجد ما يرجِّح صيغة على أخرى في لغة الاحتجاج، ولكنه يقترح أن يُخَصَّص المنسوب لما هو داخل في المضاف إليه، والمجرد لما هو خارجٌ عنه»(٦).

ومما يجدر ذكره أن مؤتمر القاهرة في دورته الحادية والأربعين قرَّر صرف النظر عن البحث في المسألة، أي لم يصدر قراراً فيها. ولكنني وجدت في مجلة مجمع دمشق عدد نيسان (١٩٧٥) تقريراً للدكتور عدنان الخطيب عن مؤتمر مجمع القاهرة المذكور يقول فيه «إنَّ المؤتمر استحسن تخصيص أسماء الجهات

(٥) مجمع القاهرة – كتاب الألفاظ والأساليب ١: ١٦٨.

(٦) المصدر السابق ١: ١٦٩.

المنسوبة بما يدخل في تحديدها، وغير المنسوبة بما يخرج عنها.»[٧].

ب- أما الشيخ محمد علي النجار في (محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة) فقد أفتى بأن ترك الياء [أي ترك النسبة] هو المنكر، وأن ذكرها هو الصواب لأنه وجدها منسوبة لدى شاعرين أحدهما جرير»[٨] مما سوف نذكره لاحقاً.

ج- أما أسعد داغر صاحب (تذكرة الكاتب) فقد خَطَّأ النسبة إلى أسماء الجهات، وذهب إلى أن الصواب هو ترك النسبة، وعاب على الكاتبين قولهم: هذه البلاد ممتدة من جنوبيّ آسيا، وتلك من شماليِّ البحر المتوسط، وهذا يسكن في غربيِّ العراق»[٩].

د- وأدلى الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي صاحب (معجم أخطاء الكُتَّاب) برأيه في الموضوع، فذهب إلى أنَّ قولنا (يقع منزلي شرقيّ المدينة) بإلحاق ياء النسبة ونصبه على الظرفية تأويله: (يقع منزلي في الجانب الشرقيّ من المدينة)، وإذا صحَّ هذا فإن المنزل يقع داخل المدينة ولكن في الجهة الشرقية منها. إما إذا قلت (يقع منزلي شرق المدينة) على الأصل بلا ياء النسبة فمعناه أن المنزل يقع خارج المدينة إلى الشرق منها. فلا يصح إذن أن تقول: (يقع منزلي شرقيّ المدينة) إذا كان خارج المدينة، كما لا يسوغ أن تقول: (يقع منزلي شرق المدينة) إذا كان المنزل داخل المدينة.

---

(٧) د. عدنان الخطيب – تقرير عن مؤتمر مجمع القاهرة الحادي والأربعين، مجلة مجمع دمشق ٥٠: ١: ٤٥٧.

(٨) محمد علي النجار – محاضرات عن الأخطاء اللغوية ٢: ٤٤.

(٩) مجمع القاهرة – الألفاظ والأساليب ١: ١٧٠.

وهذا هو الأصل والمشهور، والكُتَّاب لا يفرقون بين الاستعمالين»[١٠].

هـ - ولعلَّ آخر من ضرب بسهم في المسألة الدكتور مصطفى الجوزو في مجلة العربي قائلاً: «فالأسلوبان أي النسبة والتجرُّد منها متساويان في الصحَّة، وقد يُجْمعان معاً كما في قول شاعر بني قَريع الذي ذكره الجاحظ في الحيوان: «لقد طفتُ شرقيَّ البلاد وغَرْبَها...»[١١].

ثانياً: الجهات الأربع في استعمال القدماء:

١) شعراء عصر الاحتجاج:

يُعَدُّ شعر عصر الاحتجاج المصدر الأول والأهم من مصادر العربية بعد القرآن الكريم. ولا يصح مناقشة حكم لغوي أو مقاربته دون استقراء ما جاء فيه.

وردت أسماء الجهات الأربع عند شعراء عصر الاحتجاج مضافة منسوبة ست عشرة مرة وهي:

- قال زهير بن أبي سلمى: (ديوانه ١٠٢)

فلا لُكانُ إلى وادي الغِمار فلا شَرْقيُّ سَلْمى فلا فَيْدُ فلا رِهَمُ

- وقال زهير بن أبي سلمى (شرح ديوانه ١٦٧)

ثم استمرُّوا وقالوا إن مَشْرَبِكم ماءٌ بشرقيِّ سَلْمى فَيْدٌ أَورَكَكُ

- وقال فروة بن حميضة: (معجم الشعراء المؤتلف والمختلف: ١٠٥)

كأن قَلُوصي تحمل الأجول الذي بشرقيِّ سلمى يَوْمَ جَنْب قُشام

(١٠) صلاح الدين الزعبلاوي- معجم أخطاء الكُتَّاب: ٣٠٧.

(١١) د. مصطفى الجوزو، مجلة العربي العدد ٦٠٥ في نيسان ٢٠٠٩ ص ١٣٨ - ١٣٩.

– وقال عمرو بن أسود التميمي الطَّهريّ: (من اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح) : ١٩

بشرقيِّ سَلْمى من أميمة منزلٌ قديم كعنوان الصحيفة طاسمُ

– وقال لبيد: (ديوانه: ٥٢)

وبالجَرِّ من شَرْقيِّ حَرْسٍ مُحاربٌ شجاعٌ وذو عَقْد من القومِ مُحْتَرُ

– وقال الشماخ الذبياني: (ديوانه: ٨١)

فأَيْقَنْتُ أنَّ أن ذا هاشٍ مِنِيَّتُها وأن شرقيَّ إحْلِيلاءَ مَشْغُولُ

– وقال طفيل الغنوي: (ديوانه: ٣٩)

فلما بدا حَزْمُ القَنان وصارَةٌ ووازَنَّ من شرقيّ سُلْمى بمَنْكِب

– وقال جرير: (ديوانه ١/ ١٦٥)

هَبَّت شَمالاً فذِكْرى ما ذَكَرْتُكم عند الصَّفاة التي شرقيَّ حوارنا

– وقال الفرزدق: (ديوانه: ٢٦)

قِيدَت له من قصور الشام ضُمَّرُها يَطْلُبْنَ شرقيَّ أرضٍ بعد تَغْريب

– وقال الأخطل: (ديوانه: ٢٣٧)

ولَمَّا عَلَوْن الأَرْض شرقيَّ مُعْلِقٍ ضَرَحْنَ الحَصى الحَمْصيَّ كُلَّ مكان

– وقال عمرو بن كلثوم: (ديوانه: ٢٢١)

يكون ثِفالُها شرقِيَّ نَجْد وهَوْتُها قُضاعَةَ أجمعينا

– وقال كثير عزَّة: (ديوانه: ١٤٠)

قَوارِضُ حَضْنَيْ بَطْنِ يُنْبُعَ غُدْوَةً قَواصُد شرقيَّ العَناقَيْنِ عِيرُها

- وقال الطِّرِمَّاح: (ديوانه: ٥٦)

فَخَرْتَ بيوم العَقْر شرقِيَّ بابلٍ وقد جَبُنتَ فيه تميمٌ وقَلَّتِ

- وقال الأعشى: (ديوانه: ١٧٣)

وما جعل الرحمن بيتك في العُلا بأجيادِ غربيَّ الصفا والمحرَّم

- وقال ذو الرمَّة: (ديوانه : ٢/ ٨٦٠)

بحيث استفاض القِنْع غربيَّ واسط نهاءً ومَجَّت في الكثيب الأباطحُ

كما وردت أسماء الجهات الأربع مجردة من النسبة ستَّ عشرة مرة أيضاً، وهي:

- قال الحطيئة: (ديوانه: ٢٧)

ورَعَتْ جنوب السِّدْر حولاً كاملاً والحَزْنَ فهي يزلُّ عنها الكُور

- وقال حاتم الطائي: (ديوانه: ١٨٢)

سقى الله ربُّ الناس سَحَّاً وديمةً جنوبَ السَّراة من مآب إلى زُغَرْ

- وقال صخر الغي: (ديوان الهذليين: ٢: ٢٣٦)

لو أن أصحابي بنو أميَّة أهلُ جَنوبِ نخلةَ الشاميَّة

- وقال الشمَّاخ الذبياني (ديوانه: ٣٧)

وخَفَّت خِباها من جَنوب عنيزةٍ كما خَفَّ من نَيْل المراعي حَفيرها

- وقال النابغة الجعدي: (ديوانه: ٣٢)

وقُلنَ لحى الله رَبُّ العبادِ جنوبَ السِّخال إلى يَترَبَ

- وقال عامر بن الطفيل: (٣٨/ ٦٤)

وسَعَتْ شيوخ الحيِّ بين سويقة وبين جنوب الفِهْر ميل الشمائل

– وقال كعب بن زهير: (ديوانه: ١١٤)

مـن اللائـي ألِفْـن جَنـوب إِيْـرٍ كـأن لهـنَّ مـن سِـبْتَ نِعـالا

– وقال قيس بن زهير: (الأمثال للمفضل الضبي: ٤٨)

لـن تهبطي أبـداً جنـوبَ مُوَيْسل وقَفَـا قراقـرتَيْن فـالأمْرارا

– وقال جرير: (ديوانه ٢: ٣١٢)

نُبِئْـت تغلـبَ يعبـدون صـليبهم بـالرَّقمتَيْن إلى جَنـوب المـاخر

– وقال نصيب بن رباح (ديوانه: ١١٨)

جنوبَ الشَّرى من صائف ومحلُّها جَنُـوبَ الجُبَيْـل رَهْـوُه فـسَوائلُه

– وقال الطرماح: (ديوانه: ١٧١)

قوم لهم بعد شَرْقِ الأرض مغربها إذا تباسـق أَهْـلُ الأرض في كَبَـد

– وقال كثيِّر عَزَّة: (ديوانه: ٣١٣)

فما بين شَرْق الأرضِ والغرب كلها منـادٍ ينـادي مـن فَـصيح وأعجـم

– وقال طرفة بن العبد: (ديوانه: ٨٣)

وأنـت عـلى الأدنـى شـمال عريَّـة شـآمية تـزوي الوجـوه بليـل

– وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد (العقد الفريد: ٥: ١٧٧)

جَلَبْنـا مـن جنـوب الفَـرْد جُـرْداً كطَـيْرِ المـاء غَلَّـسَ للـوُرود

– وقال النابغة: (ديوانه: ٢٢٦)

فـإن منـازلي وبـلاد قـومي جنـوبَ قفـا هنالـك كالهـضاب

وأورد الجاحظ في كتاب الحيوان لرجل من بني قريع يرثي عينه كلمتَيْ (شرق وغرب)، منسوبة مرة ومجردة مرة في بيت واحد فقال:

- لقد طُفت شرقيَّ البلادِ وغَرْبَها فـأعْيَى عـليَّ الطـبُّ والمُتَطَبِّـب[١٢]

ومما يجدر التَّنبُّه إليه هو أن (جنوبَ وشَمال) وردت عشرات المرات في الشعر الاحتجاجي ولكن بمعنى الريح الجنوبية والريح الشمالية وليس بمعنى الجهة.

٢) الجهات الأربع في الحديث النبوي الشريف:

وردت كلمة (شرقيّ) منسوبة في الحديث الشريف عن نزول عيسى عليه السلام، في قوله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق»[١٣].

وتبعاً لذلك فقد تكررت هذه الكلمة مئات المرات في كتب الحديث وشروحها.

ولم يُرْوَ الحديث في أيٍّ منها بعبارة (شرق دمشق)، ولم يرد من الجهات الأربع في الحديث الشريف غيرُها.

٣) الجهات الأربع في كتب التراث:

١- كتب النحاة واللغويين: وقد اخترنا أربعة منها هي: الكتاب لسيبويه، وشرح الكافية الشافية لابن مالك، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري.

وقد عَدَدْنا (البحر المحيط) في كتب النحو، وإن كان في الأصل كتاب تفسير، لكثرة ما فيه من أحكام نحوية دقيقة جعلت الكثيرين يَعُدُّونه من كتب النحو.

- كتاب سيبويه: وردت أسماء الجهات منسوبة ثلاث مرات وهي:

- «مثل ذات اليمين وذات الشِّمال، شرقيّ الدار وغربيّ الدار، فجعله ظرفاً

(١٢) الجاحظ – كتاب الحيوان: ٧: ١٥١.

(١٣) تهذيب الكمال للمزيّ، تحقيق د. بشار عواد معروف. ١٥: ٢٢٤.

وغير ظرف... وقال بعضهم: شرقيّ المسجد»(١٤).

- شرح الكافية الشافية لابن مالك: لم ترد هذه الأسماء لا منسوبة ولا مجرَّدة.

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: وردت الجهات الأربع منسوبة مرتين هي قوله: «ولأن الكعبة تقع غربيَّ بيت المقدس»(١٥)، «وقال قتادة [ت١١٨هـ]: غربيّ الجبل»(١٦).

وردت مجردة من النسبة خمس مرات هي: «بلغ شرق البلاد وغَرْبَها»(١٧)، «ليست من شرق الأرض»(١٨)، «وذلك في شرق البلاد وغربها»(١٩).

- كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري: لم ترد أسماء الجهات الأربع في الكتاب لا مجردة من الإضافة، ولا مضافة منسوبة أو غير منسوبة. ويلحظ في استعمال النحاة واللغويين إياها ما يلي:

– استعملت الجهات منسوبة (٥) مرات ومجردة من النسبة (٥) مرات.

– عندما جردت من النسبة كانت مضافة لمكان عام هو الأرض أو البلاد، وعندما نُسبت كانت مضافة لمكان خاص، أو لما هي جزء منه كالمسجد أو الجبل، أي كانت تدل على اتّصالٍ بالمضاف إليه، وإن كانت في عبارة أبي حيان الأندلسي

(١٤) سيبويه الكتاب ١: ٤٤.

(١٥) أبو حيان: البحر المحيط ٢: ١١.

(١٦) أبو حيان: البحر المحيط، ٨: ٣٠٩.

(١٧) أبو حيان، البحر المحيط، ٧: ١٠٦.

(١٨) أبو حيان، البحر المحيط، ٨: ٤٦.

(١٩) أبو حيان، البحر المحيط، ٩: ٤٩٣.

تدل على اتصال روحي وقيمي أكثر من دلالتها على اتصال مكانيّ.

– إن النحاة لم يذكروا هذه الكلمات في مبحث ظرف المكان، ولم يتعرضوا لهذه المسألة في كتبهم.

٢– كتب التراث العلمي المختص:

ونعني بها كتب الجغرافية والتاريخ، لأنها ألصق المصنَّفات بذكر الجهات الأربع، وقد اخترنا أربعة منها هي: معجم ما استعجم للبكري (٤٧٨هـ) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦هـ). ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (٥٦٠هـ)، والسلوك لمعرفة دُوَل الملوك للمقريزي (٨٤٥هـ).

وكانت حصيلة الإحصاء فيها كما يلي:

أ– وردت الجهات الأربع مضافة منسوبة (٣٧٨) مرة ومنها: «ببلاد عبادان من شرقيّ دجلة»[٢٠]، «وسوسة الصين على شرقيّ نهر همدان»[٢١]، «وفي شرقيّ جزيرة يابسة»[٢٢]، «شرقيّ دمشق»[٢٣]، «غربيّ النيل»[٢٤]، «ومن شماليّ دُمْياط»[٢٥]، «أندرين: اسم قرية في جنوبيّ حلب»[٢٦].

(٢٠) البكري، معجم ما استعجم ١: ١٩٨.

(٢١) الإدريسي، نزهة المشتاق ١: ٢١٠.

(٢٢) المصدر السابق ٢: ٥٨٢.

(٢٣) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك٣: ١١٦٠.

(٢٤) المصدر السابق ١: ٢٢٤.

(٢٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١: ١٩٦.

(٢٦) المصدر السابق ١: ٢٦٠.

ب- وردت الجهات الأربع مضافة مجردة من النسبة (٤٧) مرة، ومنها: «بعض بلاد الحبشة جنوب أرض التاجوين»(٢٧)، «حارب يلبغا المجنون شرق أبويط»(٢٨)، «لأنه عن شِمال الكعبة»(٢٩)، «بِشِبْراط: حصن في غرب الأندلس»(٣٠).

وواضح من هذا أن الجهات الأربع وردت منسوبة في استعمال المختصين العلميين القدامى نحو ثمانية أضعاف استعمالها مجردة من النسبة.

٣- كتب التراث العام:

ونعني بها كتب الأدب والفقه والتراجم ونحوها. وقد تتبَّعنا مجموعة كبيرة منها حتى القرن الهجري العاشر ولمّا كان البحث عن أسماء الجهات الأربع في كل تلك الكتب صعباً حتى مع الاستعانة بالمكتبات الإلكترونية، فقد اخترنا عبارات (شرقيّ مكَّة وشَرْق مكة، وغربيّ مكة وغرب مكة، وشِماليّ مكة وشِمال مكَّة، وجنوبيّ مكة وجنوب مكة). فكانت النتيجة كما يلي:

أ- وردت أسماء الجهات الأربع منسوبة مضافة إلى مكة (٤١) مرة(٣١)، وأهمها:

- «لأن الأرض إذا قسمت قسمين قسماً شرقيَّ مكة وقسماً غربيَّ مكة»(٣٢).
- «فقبورهم في غربيّ مكة»(٣٣)، «بَلْدَح وادٍ غربيَّ مكة»(٣٤).

(٢٧) الإدريسي، نزهة المشتاق ١: ٣٢.

(٢٨) المقريزي، السلوك لمعرفة ودل الملوك ٣: ١٠١٧٢٠.

(٢٩) البكري، معجم ما استعجم ٢: ١٤٠١.

(٣٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان ١: ٤٢٤.

(٣١) لم نعتدّ بالمكررات إذا كانت عند مؤلِّف واحد كما في البداية والنهاية وفتح الباري.

(٣٢) ابن تيمية، شرح عمدة الفقه ٣: ٤٥٩.

- «أما يَلَمْلَم فهو ميقات أهل اليمن وهو مكان جنوبيَّ مكة»(٣٥).

ويلحظ أن الجهات المنسوبة دَلَّت غالباً على مكان مُتَّصل بما أضيفت إليه.

ب- وردت أسماء الجهات مجردة من النسبة مضافة إلى مكة (٤٠) مرة، وأهمها:

- «قرن المنازل شرق مكة»(٣٦)، «وهو ما قابل شَرْقَ مكة من البلاد»(٣٧).

- «وَوسَط الشام كدمشق وما والاها شِمالَ مكة من غير مَيْل»(٣٨).

- «يَلَمْلَم هو جبلٌ من جبال تهامة على مرحلتين من مكَّة، وقال ابن حزم: هو جنوب مكة»(٣٩).

ويُلحظ أن الجهات الأربع في هذه العبارات دلَّت على مكان هو خارج مكَّة وليس متصلاً بها.

رابعاً: دلالة الاسم المنسوب في العربية:

«في النسبة معنى الصفة... فإذا كان الاسم صفة ففي النسبة معنى المبالغة في الصفة، قالوا: (أحمر) فإذا أرادوا المبالغة في وصفه بالحمرة قالوا (أحمريّ)» (٤٠).

---

(٣٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرون ٢: ٤٠١.

(٣٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١: ٦٢.

(٣٥) ابن نجيم الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢: ٣٤١.

(٣٦) بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري. ٢: ٢١٩.

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١: ١٥٢.

(٣٨) المقريزي، المواعظ والاعتبار ٤: ٥٢.

(٣٩) بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٩: ١٤٠.

(٤٠) الغلاييني، جامع الدروس العربية ٢:٧١.

والصفة في علم الصرف لا تُطلق على النعت بل على المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب... «ويعتبر الاسم المشتمل على ياء النسب مؤوَّلاً بالمشتق أي في حكمه لتضمنه معنى المشتق، إذ معناه المنسوب إلى كذا»(٤١). قال سيبويه: «وكذلك أقرشيٌّ أبواك؟ إذا أردت الصفة جرى مجرى حَسَن وكريم»(٤٢). أي مجرى الصفة المشبهة في عملها، فيرفع ما بعده على الفاعلية كالصفة المشبهة أو نائب الفاعل كاسم المفعول(٤٣).

ولكن أهم ما يلحظ في الاسم المنسوب دلالته على الاتصال بالمنسوب إليه؛ «فمن يسمع لفظ (محمديّ)، لا بدَّ أن يفهم أَمرين معاً هما (محمد) الدّال على مُسَمَّى، وشيءٍ آخر منسوب إلى محمَّد، أي متصل به بطريقة من طرق الاتصال»(٤٤). أي هو يدلُّ على شَيءٍ ومُتَعَلَّقه، كسائر المشتقات من اسم فاعل ونحوه، «فكلمة زاهد تدل على أمرين معاً هما الزُّهْد مطلقاً والذات التي فَعَلَتْه أو ينسب إليها، وكذا كلمة (عادل) تدل على أمرين معاً هما العدل مطلقاً والذات التي فَعَلَتْه أو ينسب إليها»(٤٥)، وكذا الاسم المنسوب فهو – لكونه صفة – يدل على اسمٍ وعلى شيء متصل به في وقت واحد.

ويبنى على ما سبق أن قولنا عن موضع ما: (إنه دمشقيّ) لا يصح إلا إذا

(٤١) عباس حسن، النحو الوافي ٤: ٧١٣- ٧١٤.

(٤٢) سيبويه، الكتاب ١: ٢٤٣.

(٤٣) ينظر الغلاييني، جامع الدروس العربية ٢: ٧٢.

(٤٤) عباس حسن- النحو الوافي ٤: ٧١٣.

(٤٥) عباس حسن، النحو الوافي ٣: ٢٣٩.

كان ضمن أحياء دمشق، وكذا قولنا عن موضع (إنه مصريّ) لا يصح إلا إذا كان هذا الموضع واقعاً ضمن حدود مِصْر. وبالنظر للتشاكل بين النسبة والإضافة سمَّى سيبويه النسبةَ إضافةً فقال: «هذا باب الإضافة وهو باب النسبة»(٤٦). وعندما حُدَّت الإضافة قيل: «هي نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر»(٤٧).

خامساً: الدلالة الإحصائية للجهات الأربع المضافة منسوبة ومجردة:

بالعودة إلى الشواهد الاحتجاجية (الشعر القديم والحديث الشريف، والأثر وكلام العرب) يلحظ أن أسماء الجهات الأربع وردت (٢١) مرة منسوبة، ووردت مجردة من النسبة (١٦) مرة أي بنسبة ٥٦.٨٪ للمنسوبة و٤٣.٢٪ للمجردة من النسبة.

أما في كلام ما بعد عصر الاحتجاج إلى حدود القرن العاشر الهجري فقد وردت الجهات الأربع منسوبة (٣٧٤) مرة ومجردة من النسبة (٤٦) مرة، أي بنسبة ٨٩٪ للمنسوبة و١١٪ للمجردة من النسبة(٤٨).

ولمعرفة اتجاه المُحْدَثين في استعمال الجهات الأربع عمدنا إلى مجلتين معاصرتين(٤٩)، وأحصينا ما جاء في مئة وخمسين عدداً منها، وذلك من خلال بحث في مكتبة إلكترونية. فكانت النتيجة ما يلي:

- استعملت الجهات الأربع منسوبة مضافة في عبارات من مثل (شرقيَّ كذا

(٤٦) سيبويه، الكتاب ١: ٢٤٩.

(٤٧) الغلاييني، جامع الدروس العربية ٣: ٢٠٥.

(٤٨) أي كتب ما بعد عصر الاحتجاج، ما عدا كتب التراث العلمي المختص.

(٤٩) هما مجلة الراصد الأعداد (١ - ٥٠) ومجلة البيان الأعداد (١ - ١٠٠).

وغربيَّ كذا) نحو (١٥٩) مرة. واستعملت مجردة من النسبة من مثل (شرق كذا وغرب كذا) نحو (٩٣٩) مرَّة، وبهذا تكون نسبة استعمالها منسوبة ١٤.٥٪ ونسبة استعمالها مجردة من النسبة ٨٥.٥٪ أي إن نسبة استعمالها مجردة من النسبة تزيد على خمسة أضعاف استعمالها منسوبة، ويعود ذلك إلى ميل المعاصرين إلى الاختصار والتبسيط ما أمكن.

ولكن إلى جانب هذه الدلالة العددية ثمة دلالة أخرى هامة في كلام عصر الاحتجاج، وهي أن أسماء الجهات الأربع عندما وردت منسوبة كانت تدل على اتصال مكاني بين المنسوب والمنسوب إليه وهو المضاف إليه؛ ففي المواضع الأحد والعشرين التي وردت فيها منسوبة كانت الإضافة لما هو جزء متصل مكانيّاً بالمنسوب إليه في ثمانية عشر موضعاً نحو (شرقيّ دمشق، شرقيّ سلمى، غربيّ الصفا، غربيّ واسط» ووردت ثلاث مرات مضافة لمكان عام هما: «شرقيَّ أرضٍ» في قول الفرزدق، و«وقد طفت شرقيَّ البلاد وغربها» لبعض بني قريع.

وفي المواضع الستة عشر التي جاءت أسماء الجهات مجردة من النسبة، كانت الإضافة فيها لمكان مخصوص متصل بالمنسوب إليه في ثمانية مواضع هي – (جنوبَ نَخْلَة، جنوب الماخِر، جنوب السِّدْر، جنوب عنيزة، جنوب إِبْرٍ شمال عريَّة، جَنوب الفرد جنوبَ قنا)، ووردت مضافة إلى مكان عام غير مخصَّص مثل الأرض والبلاد في ثمانية مواضع نحو (بعد شرق الأرض مغربها)، ونحو (لقد طُفْت شرقي البلاد وغَرْبَها)، أو مضافة لمكان خاص ولكنه غير محدَّد كقول قيس بن زهير:

«لن تهبطي أبداً جنوبَ مويسلٍ وقنـــا قراقـــرتَيْن فـــالأمرار»

وقول عامر بن الطفيل:

وسَعَتْ شيوخ الحي بين سويقةٍ وبـين جنـوب الفِهـر ميـل الـشمائل

أي إنَّه **يغلب استعمال أسماء الجهات المنسوبة مضافة لما هي متصلة به، والمجرَّدة من النسبة لما هي غير متصلة به.**

سادساً: الرأي:

بعد ما قدَّمنا من استعمالات القدماء والمعاصرين واجتهادات المحدثين يمكن أن نركن إلى ما يلي:

١- يصح من الوجهة اللغوية البحتة استعمال أسماء الجهات الأربع بصيغتَيْها المضافة المنسوبة والمضافة المجردة من النسبة كأن يقال: (شرقيّ دمشق وشَرْقَ دمشق)، لورود ذلك بنسبٍ متقاربة في لغة الاحتجاج.

٢- إن اللغة العلمية المعاصرة تتطلب الدقَّة العلمية، أي أن نخصِّص كل صيغة منهما لدلالة. وإذا كان هذا التخصيص قد يبدو تحكُّمياً بعض الشَّيْء، إلا أنه يسير وفق أصول العربية التي كانت تلجأ إلى التخصيص للتفريق بين المتشابهات في دلالات الصفة عندما قالت (الأحمر) لما لونه الحُمْرة وقالت (الأحمريّ) لما هو مبالغ في حمرته، كما فرقوا بين دلالات الكلمة المنسوبة بالحركات فقالوا في النسبة إلى الدَّهر: (دَهْريّ) للقديم المُسِنَ، و(دُهْري) للملحد الذي يعتقد بالدَّهر(٥٠).

أما المحدثون من المختصِّين العلميين فقد خصَّصُوا تحكُّميًّا- للضرورة العلمية - كل صيغة من صيغ النسبة الممكنة، لدلالة محدَّدة، فقالوا «بيضيّ لما يراد نسبته إلى مادة البَيْضة، (وبَيْضَوي أو بَيْضاوي) لما يُراد نسبته إلى شكل البَيْضة، و(بَيْضانيّ)

(٥٠) ابن منظور، لسان العرب: دَهَر.

لشكل يشبه البَيْضة ولا يطابقه»(٥١). ويلحظ أن هؤلاء العلميين لم يخصِّصوا فقط، بل خرجوا أحياناً عن قواعد الصرف العربي بغرض الدقة العلمية في التعبير، فلا حَرَج ولا خروج على اللغة في تخصيص كلمةٍ بدلالة، ونسبتِها بدلالة مقاربة.

٣- ولذا فإننا نرى قياسًا على الغالب في استعمالات عصر الاحتجاج أن تخصَّص أسماء الجهات الأربع المضافة المنسوبة لما هو جزءٌ من المضاف إليه ومُتَّصلٌ به، وأن تخصَّص أسماء الجهات المضافة المجردة من النسبة لما ليس جزءاً من المضاف إليه ولا متصلاً به، فنقول مثلاً (حلب شماليّ سورية) لأن حلب جزء من سورية، ونقول (تركيَّة شمالَ سورية) لأنها ليست جزءاً منها. ونقول (دَرْعا جنوبيّ سورية: لأنها جزء منها) ونقول: (الأردن والحجاز واليمن جنوبَ سورية)، لأنها ليست كذلك.

وهذا ما كان اقترحه الأستاذ شوقي أمين على مجمع القاهرة «بأن يُخصَّص المنسوب لما هو داخلٌ في المضاف إليه، والمجرد لما هو خارجٌ عنه»(٥٢). وكذا ما ذهب الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي.

ولعل هذا ما استحسنه مجمع القاهرة «بتخصيص أسماء الجهات المنسوبة بما يدخل في تحديدها، وغير المنسوبة بما يخرج عنها»(٥٣)، أقول (لَعَلَّ) لأن العبارة

(٥١) د. محمد هيثم الخياط، المصطلحات والضرورة العلمية، الموسم الثقافي السابع للمجمع الأردني: ٣٥.

(٥٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كتاب الألفاظ والأساليب ١: ١٦٩.

(٥٣) د. عدنان الخطيب، تقرير عن مؤتمر مجمع القاهرة الحادي والأربعين، مجلة مجمع دمشق ٥٠: ١: ٤٥٧.

التي وردت في كلام الدكتور عدنان الخطيب عن استحسان مجمع القاهرة غامضةٌ، في حين كانت عبارة الأستاذ شوقي أمين واضحة لا لبس فيها.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانْفَعْنا بما علمتنا.

المصادر والمراجع

١- **أسرار العربية** – أبو البركات الأنباري – تح محمد بهجة البيطار مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٩٤٥.

٢- **أمثال العرب** – المفضل الضّبي – مطبعة التقدم – مصر – ١٩٠٩م.

٣- البحر الرائق شرح كنز الدقائق – ابن نجيم الحنفي – دار المعرفة – بيروت – ط٣- ١٩٩٣م.

٤- **البحر المحيط** – أبو حيان الأندلسي – دار الفكر – طبعة صدقي محمد جميل، بيروت ١٩٩٢ (د. ت).

٥- **البداية والنهاية** – ابن كثير – تح محيي الدين مستو ود. علي أبو زيد – ط١ – دار ابن كثير دمشق وبيروت ٢٠٠٧م.

٦- **تهذيب الكمال** – الحافظ المربي – تح د. بشار يوسف عواد – مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م.

٧- **الجامع لأحكام القرآن**- القرطبي تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالمشاركة – مؤسسة الرسالة – بيروت ط١- ٢٠٠٦م.

٨- **جامع الدروس العربية** – مصطفى الغلاييني- المطبعة العصرية الحديثة، ط١٣- صيدا- لبنان- ١٩٧٣م.

٩- **ديوان الأخطل**- بعناية أنطون الحايك اليسوعي – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٨٩١.

١٠- **ديوان الأعشى**- شرح وتعليق محمد محمد حسين- مؤسسة الرسالة- ط٧- ١٩٨٣م.

١١- **ديوان الحطيئة** بشرح أبي سعيد السكري – دار صادر – ط١- بيروت ١٩٩٤م.

١٢- **ديوان ذي الرُّمة** – تح عبد القدوس أبو صالح – مطبعة طربين – دمشق – ١٩٧٢م.
١٣- **ديوان طرفة بن العبد** – شرح الأعلم الشمنتري – تح: درية الخطيب ولطفي الصقال مطبوعات مجمع دمشق ١٩٧٧م.
١٤- **ديوان الطِّرِمَّاح** – تح: د. عزة حسن – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ١٩٦٨م.
١٥- **ديوان الطفيل الغنوي بشرح الأصمعي** – تح: حسان فلاح أوغلي دار صادر – ط١- بيروت ١٩٩٧م.
١٦- **ديوان الشَّمّاخ الغطفاني بشرح الشنقيطي** – مطبعة دار السعادة – مصر- ١٣١٢هـ.
١٧- **ديوان عامر بن الطفيل** – دار صادر – ١٩٧٩م.
١٨- **ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي**- تح أيمن ميدان – النادي الأدبي بجدة ط١- جدة ١٩٩٢م.
١٩- **ديوان الفرزدق**- ضبط وشرح علي فاعور – دار الكتب العلمية الحديثة – لبنان ١٩٧٨م.
٢٠- **ديوان كثير عزَّة**- شرح عدنان الدرويش – دار صادر – ط١- بيروت ١٩٩٤م.
٢١- **ديوان لبيد** – تح: إحسان عباس – وزارة الثقافة والإرشاد – الكويت ١٩٦٢م.
٢٢- **ديوان النابغة الجعدي**- المكتب الإسلامي للطباعة والنشر- ط١ دمشق ١٩٦٤م.
٢٣- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**: صنعة ثعلب – الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م.
٢٤- **ديوان الهذليين** – دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.
٢٥- **ديوان النابغة الذبياني** – صنعة ابن السكيت – تح: د. شكري فيصل – دار الفكر (د.ت).
٢٦- **شرح عمدة الفقه** – ابن تيميَّة – موقع شبكة المشكاة الإسلامية الإلكتروني.
٢٧- **السلوك لمعرفة دول الملوك** – المقريزي – تح: سعيد عبد الفتاح عاشور – طبعة دار

الكتب ١٩٧١- ١٩٧٢م.
٢٨- **السلوك لمعرفة دول الملوك** – المقريزي – نشر محمد مصطفى زيادة – ط٢ (د.ت).
٢٩- **شرح الكافية في النحو** – الرضيّ الأستراباذي، وبهامشه حاشية للسيد الشريف الجرجاني - منشورات المكتبة المرتضوية - ١٣٤٤هـ.
٣٠- **شعر حاتم بن عبد الله الطائي** – تح: عادل سليمان جمال – مكتبة الخانجي – ط٢- مصر ١٩٩٠م.
٣١- **شعر زهير بن أبي سلمى** – تح فخر الدين قباوة – دار الكتب العلمية ط١ – بيروت ١٩٩٢م.
٣٢- **شعر كعب بن زهير** – المجمع العلمي البولوني – الرسالات – مجلد ٣٨- قراقو ١٩٥٠م.
٣٣- **شعر نصيب بن رباح** – جمع وتقديم د. داوود سلوم – مطبعة الرشاد – بغداد – ١٩٦٩م.
٣٤- **العقد الفريد** - ابن عبد ربه – رتبه وضبطه أحمد أمين ورفاقه – مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٤٦م.
٣٥- **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري** – بدر الدين العيني – دار الفكر (دون مكان ولا تاريخ).
٣٦- **فتح الباري** - ابن حجر العسقلاني - بيت الأفكار الدولية - (د.ت).
٣٧- **القاموس المحيط** - الفيروزآبادي.
٣٨- **الكتاب**- سيبويه – تح عبد السلام هارون – عالم الكتب – بيروت.
٣٩- **كتاب الألفاظ والأساليب** – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – الجزء الأول – القاهرة ١٩٧٧م.
٤٠- **كتاب الحيوان للجاحظ** – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – تح: عبد السلام هارون – مصر – ١٩٤٥م.
٤١- **لسان العرب** – ابن منظور.

٤٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٠/ ١ نيسان ١٩٧٥م.

٤٣- **مجلة العربي** – العدد ٦١٥ – نيسان ٢٠٠٩م.

٤٤- **معجم أخطاء الكتاب** – صلاح الدين الزعبلاوي – تدقيق وإخراج د. مكي الحسني وأ. مروان البواب. دار الثقافة والتراث- ط١- دمشق ٢٠٠٦م.

٤٥- **معجم البلدان** - ياقوت الحموي – دار صادر – بيروت ١٩٧٧م.

٤٦- **من اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح** - تح عبد العزيز بن ناظر المانع، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٩٩١م.

٤٧- **معجم ما استعجم** – البكري – تح مصطفى السقَّا – عالم الكتب - بيروت (د.ت).

٤٨- **المعجم الوسيط** – مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٤٩- **محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة** – محمد علي النجار – معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩م.

٥٠- **معجم الشعراء والمؤتلف والمختلف** – الآمدي - مكتبة القدسي – القاهرة (١٣٥٤هـ).

٥١- **النحو الوافي** – عباس حسن – دار المعارف بمصر (د.ت).

٥٢- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** – الإدريسي – عالم الكتب- ط١ بيروت ١٩٨٩م.

٥٣- **المواعظ والاعتبار**- المقريزي – تح د. أيمن فؤاد السيد – مؤسسة الفرقان – لندن ٢٠٠٢م.